الدرس (13): ترجمة مصطلحات تحليل الخطاب

تمهيد:

يعد تحليل الخطاب من المقاربات اللسانية المستعصية على حصر المجال المعرفي الذي تختص به، كونه يمثل موضوعا لمختلف حقول المعرفة الإنسانية؛ نخص بالذكر الأسلوبية، والسرديات، ولسانيات النص، وعلم العلامات وغيرها، إلا أنه يستحوذ على أهمية كبيرة في حقل التداولية ونظريات التواصل، وتبعا لهذا الاتساع في مجال تحليل الخطاب ودراسته تعدد مصطلحاته التي راحت تمثل نقطة لقاء بين مختلف العلوم والمعارف.

مصطلح التحليل (Analysis):

التحليل مفهوم تقني إجرائي يحضر بقوة في مجال دراسة الخطاب، ونظرا لأهميته بالنسبة إليه فقد اقترن به كحقل معرفي تلتقي عنده العديد من التخصصات؛ «ومعناه اصطلاحا تفكيك الخطاب (أو النص) ، وحله إلى وحداته التي ساهمت في بنائه الشكلي ودلالته؛ للتعرف على وظيفة كل عنصر منها في الخطاب وأثرها فيه؛ لاستنباط أسراره ومقاصده، و"التحليل" عند مفسري الخطاب والنصوص المكتوبة يعبر به عن توضيح مضامين النصوص، والكشف عن المراد منها»[1].

يعنى التحليل بتفكيك الوحدات اللسانية التي يتشكل منها الخطاب، والتي تمثل بالنسبة إليه مؤشرات دلالية خادمة للمعنى، كما أنه يفصح عن قصديته بالنظر إلى وظيفة كل عنصر من عناصره، ولهذا لا يمكن أن نفهم أي نوع من الخطاب دون تحليله.

أما عن المقاصد والأهداف التي يختص بها التحليل في اشتغاله على الخطاب فهي متعددة، إلا أنها تتمحور أكثر حول المكون اللساني؛ حيث «يهدف تحليل الخطاب إلى إعطاء وصف صريح ومنظم للوحدة اللغوية المدروسة، وهذا من خلال دراسة النص (text)، والسياق (context)، وتهدف دراسة النص إلى وصف بنية الخطاب في ضوء مستويات الخطاب اللغوية: الصوت، والبنية، والتركيب، والدلالة، وتهدف دراسة السياق إلى ربط تفسير البنية التركيبية بالنص الكلي، وبالمقام الخارجي وخصائصه الإدراكية والاجتماعية والثقافية، وهذا البعد

[1]– محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة (دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم)، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص11.

الأخير موضوع بحث البراجماتية اللسانية (التداولية) وهدفها، فتحليل الخطاب عبارة عن تحليل استعمالات اللغة، فالهدف من التحليل ليس البنية اللغوية، بل المعنى المرتبط بظروف الإنتاج»[1].

يربط مصطلح التحليل الصلة بين الثلاثية الاصطلاحية الخطاب والنص والسياق؛ حيث يهدف تحليل النص إلى وصف المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية للبنية الخطابية، ويهدف تحليل السياق إلى تفسير البنى النصية بالظروف الاجتماعية والثقافية، أما تحليل الخطاب فيهدف إلى بلوغ المعنى المراد من الممارسة اللغوية في اتصاله بالسياق الذي أنتجها.

مصطلح الخطاب (Discours):

الخطاب نموذج لغوي مركب يتجاوز مفهوم الجملة، وبعبارة أخرى هو «كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوبا أو ملفوظا»[2]؛ وهذا ما يجعل الخطاب أعم وأشمل وأكبر من الجملة بغض النظر عن الشكل الذي يتخذه كتابة أو تلفظا.

والخطاب من المصطلحات المتداولة لدى الباحثين في حقل الدراسات اللسانية؛ إلا أنه «يحيل على نوع من التناول للغة، أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدد، فاللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية بل نشاطا لأفراد مندرجين في سياقات معينة، والخطاب بهذا المعنى، لا يحتمل صيغة الجمع: يقال (الخطاب) و(مجال الخطاب) الخ، وبما أنه يفترض تمفصل اللغة مع معايير غير لغوية، فإن الخطاب لا يمكن أن يكون موضوع تناول لساني صرف»[3].

إن الخطاب ممارسة لغوية خاصة؛ تعتمد خصوصيتها على الاختلاف في أسلوب التعامل مع المرجع اللغوي، وهو يعكس أثر السياق في النشاط اللغوي للأفراد، ولهذا لا يمكن التعامل مع الخطاب بمفاهيم التحليل اللساني الخالص.

---

[1]– محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، ص13-14.

[2]– سعد البازعي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي – إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، المغرب – لبنان، ط3، 2002، ص155.

[3]– دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر. محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، لبنان / الجزائر، ط1، 2008، ص

ويخرج الخطاب عن الدلالة اللسانية لأداء أغراض تداولية وسياقية، ولهذا جاء في تحديده أنه «الشكل التفاعلي، وليس النص اللغوي الثابت، ويتطلب تحليل الخطاب استرجاع الظروف التي أدت إلى إنتاج النص (تحليل المقام الخارجي)، ومن ثم فإن المقام جزء أساس من عمل تحليل الخطاب»[1].

إن لسانيات الخطاب لا تركز على المكون اللغوي القار وما يشتمل عليه من عناصر تركيبية بقدر تركيزها على السياق أو المقام في تفسير الخاصية الإنتاجية للنص/الخطاب، فضلا عن الخاصية التفاعلية التداولية، وهذا ما يميزها عن لسانيات الجملة.

وبالنسبة للخاصية التفاعلية التي يتميز به الخطاب فقد ذهب الباحث اللغوي "رومان جاكبسون" إلى أن عملية التخاطب ذات طبيعة تواصلية؛ وهي في هذا الجانب متميزة بالأداء الوظيفي الذي يختلف باختلاف عناصر العملية التخاطبية؛ وفق هذا التحديد[2]:

- الوظيفة التعبيرية (Fonction Expressive): يؤديها المخاطِب.
- الوظيفة الإفهامية (Fonction Conative): يؤديها المخاطَب.
- الوظيفة المرجعية (Fonction Référentielle): يؤديها المقام.
- الوظيفة الشعرية أو الإنشائية (Fonction Poétique: يؤديها الخطاب.
- الوظيفة الانتباهية (Fonction Phatique): تؤديها قناة التخاطب.
- الوظيفة المعجمية (Fonction Métalinguistique): يؤديها وضع الخطاب.

ويستمد مصطلح الخطاب المزيد من القيم الدلالية التي تجعله أكثر وضوحا في إطار العلاقات التقابلية التي تربطه بغيره من المصطلحات المجاورة؛ خاصة الجملة، والملفوظ، واللغة والنص وغيرها؛ وهذا إن دلّ على أمر إنما يدل على اتساع مجاله وفق هذا التصور[3]:

- **خطاب / جملة:** يتحدد مفهوم الخطاب على أنه وحدة لغوية مكونة من جمل متتابعة، وقد عُرف تحليل الخطاب بهذا المعنى لدى الباحث اللغوي هاريس، وعُرف لدى غيره من الباحثين بنحو الخطاب (grammaire de discours)، ثم أرتبط لاحقا بمقولات لسانيات النص.

[1]- محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، ص14.

[2]- ينظر: نفسه، ص14.

[3]- ينظر: دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص38-39-40.

- **خطاب / ملفوظ:** يتحدد الخطاب بوصفه وحدة لغوية معادلة للملفوظ؛ وأنه في الآن ذاته عبارة عن وحدة اتصال تنتجها ظروف وسياقات معينة؛ أي أن الخطاب بغض النظر عن نوعه (حوار تلفزيوني، مقال صحفي، رواية ...) يحيل إلى ملفوظ بعينه.

- **خطاب / لغة:** تختلف اللغة عن الخطاب في كونها نظاما من القيم البنيوية، في حين أن ممارستها في سياق معين كفيلة بمنح الخطاب خاصية الإنتاج، وجعلة يكتسب تصورات جديدة، خاصة بالنسبة للمعجم (lexique) المعتمد فيه؛ ذلك أن التوليد المعجمي هو في حد ذاته من قبيل الخطاب.

ويمكن تحديد الاختلاف بين اللغة والخطاب على أساس أن نظام اللغة يشترك فيه أفراد الجماعة اللغوية بينما الخطاب فيختلف باختلاف الاستعمال الفردي لهذا النظام؛ انطلاقا من وجود مجموعة من المؤشرات المتحكمة في ذلك؛ متمثلة في:

1- تموقع اللغة داخل الخطاب: فيكون بذلك شيوعيا مثلا.
2- نوع الخطاب: فيكون صحفيا، أو إداريا، أو روائيا، أو غير ذلك.
3- مصدر الخطاب: فيكون من نتاج فئة بعينها من المتكلمين؛ مثل الممرضات أو ربات البيوت.
4- وظيفة لغوية: فيكون الخطاب سجالا، أو بصيغة الأمر.

- **خطاب / نص:** يتجلى الخطاب من حيث هو ارتباط للنص بسياقاته المتعددة؛ وصلة الارتباط هذه هي التي تكسب النص صفة الخطاب.

تحليل الخطاب (Discourse Analysis):

ظهر مصطلح تحليل الخطاب أول الأمر سنة (1954) لدى باحث اللغة المعروف "زيلج هاريس" (Zellig Harris)؛ حيث اعتمده عنوانا لمقاله؛ الذي تحدث فيه عن القواعد والقوانين المتحكمة في تتابع الجمل، ومن هذا المدخل راح تحليل الخطاب يستعين بالنحو في أبحاثه ليشكل بذلك أهم رافد له، واستمر هذا الطرح مع الجهود البحثية المقدمة في لسانيات النص[1].

وبالنظر إلى التراكم البحثي الذي قدمته هذه الجهود يمكن القول بأن تحليل الخطاب يرجع في نشأته لمرجعيات معرفية كثيرة، منها التيار اللساني الذي ظهر أواخر الستينيات من القرن العشرين، تحت مسمى

[1]- ينظر: سعيدة علي زيغد، تحليل الخطاب الحواري في نظرية النحو الوظيفي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص13.

"اللسانيات النصية" (La linguistique textuelle)، حيث ساهم تحليل الخطاب في الخروج بالدرس اللساني من مجال الجملة إلى مجال النص، وفي هذا السياق تمكنت الجهود اللسانية من تشكيل تيار لساني ظهر قبل اللسانيات النصية بسنوات، عرف بنحو النص (La grammaire du texte) إلا أن النتائج التي أحرزت ظلت توحي باستمرار سيطرة الجملة، وطرائق تحليلها، وكأن النص في تقديرهم جملة كبرى[1].

أفاد تحليل الخطاب من الدرس النحوي؛ لأنه وجد فيه ما يفسر به تتابع الجمل وفق القوانين التي يفرضها النظام اللغوي، وأفاد من لسانيات النص لأنها وانطلاقا من تحليل الخطاب راحت تستجيب في طرحها لدراسة بنية أكبر من الجملة تتمثل في بنية النص، فضلا عن الإفادة من نحو النص قبل ذلك، وبغض النظر عن النتائج المحققة فإن قد ساهمت في تشكل الإطار المعرفي العام لتحليل الخطاب.

شهد تحليل الخطاب تطورا ملحوظا لاحقا؛ حيث يمكن تمييز اتجاهين أساسيين له؛ «اعتد أولهما بالتشكيل اللساني للخطاب، فاختزله في تحليل مكوناته اللغوية، وبالغ الثاني في إيلاء الإيديولوجيا مكانة كبيرة حتى ذوّب ما هو خطابي (Discursif) في ما هو إيديولوجي (Idéologique)، فالصلة بين هذين المكونين معقدة استعان رواد تحليل الخطاب في فهمها باللسانيات البنيوية، وبنظرية الإيديولوجيا»[2].

يختلف تحليل الخطاب عن اللسانيات؛ ومع ذلك يلتقيان في تحليل المكونات اللسانية التي يتشكل الخطاب انطلاقا منها، كما أنه مختلف أيضا عن الإيديولوجيا ومع ذلك يلتقيان في البحث عن الدلالة وتأويل المعنى، وهذا جعل تحليل الخطاب ينفتح في مقارباته على اللسانيات البنيوية، والأيديولوجيا.

إن تعدد هذه الروافد يعد من أهم الأسباب التي حالت دون التمكن من ضبط مفهوم دقيق لمصطلح تحليل الخطاب؛ كونها قد تسببت في عدم استقراره معرفيا ومنهجيا؛ نظرا «لوجوده في ملتقى العلوم الإنسانية، توجد تحليلات للخطاب تغلب عليها الصبغة الاجتماعية، وأخرى تغلب عليها الصبغة اللسانية، وثالثة تغلب عليها الصبغة النفسانية؛ ويضاف إلى هذا التفريع ما بين التيارات من اختلافات»[3].

[1]– ينظر: حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص15-16.

[2]– نفسه، ص9.

[3]– باتريك شارودو ودومينيك منغنو (إشراف)، معجم تحليل الخطاب، تر. عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مر. صلاح الدين الشريف، دار سيناترا (المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص45.

وإذا كانت اللغة تقوم على مقولة الخطاب، فإن أي تحليل لساني يفترض به أن يمر بهذه المقولة دراسة وتحليلا، وهذا ما زاد من صعوبة تحديد مفهوم جامع لمصطلح تحليل الخطاب؛ نظرا لاستحالة الفصل بينه وبين غيره من التخصصات المعرفية التي تتخذ منه موضوعا لها.

ويعد تحليل الخطاب في تصوراته الإجرائية للظاهرة اللغوية، ذلك «الفن الذي يدرس اللغة باعتبارها نشاطا راسيا في المقام، ومنتجا لوحدات تتجاوز الجمل»[1]؛ وبذلك يأخذ خاصيته الإنتاجية من البعد اللساني الذي يكتسبه من دراسة اللغة في سياق التداول والاتصال؛ حيث تتحقق الخاصية التداولية للخطاب أثناء عملية التخاطب؛ ولهذا ذهب العديد من الباحثين في هذا التخصص إلى التعامل مع الخطاب بوصفه «نشاطا تفاعليا»[2].

يعنى تحليل الخطاب بدراسة النشاط اللغوي في إنتاجه لوحدات لسانية أكبر من الجملة نفسها؛ مع مراعاة صلتها بالمقام أو السياق الذي ترد فيه، أما عن الخطاب بوصفه نشاطا تفاعليا فيتم تحليله من هذا المدخل؛ كونه نشاطا لغويا وتفاعليا في الآن ذاته.

مصطلح الملكة / الكفاءة (Compétence):

اهتدى الباحث اللساني الأمريكي "نعوم تشومسكي"، مؤسس النحو التفريعي إلى مفهوم الملكة أو الكفاءة اللغوية؛ وذلك «للدلالة على القدرة التي يتمتع بها الناطقون بلغة ما، والتي تمكنهم من إنتاج وفهم عدد لا متناه من الجمل الجديدة، غير أنه لا يمكننا في مجال تحليل الخطاب الاكتفاء بهذه الملكة النحوية، ذلك أنه تنضاف إليها الملكة التداولية التي تنطوي على قواعد تسمح للمتكلم بتأويل ملفوظ بالنسبة إلى سياق بعينه، ومن بين هذه القواعد "قواعد الخطاب" (les lois du discours)»[3].

وهذه الملكة أو الكفاءة اللغوية هي التي تمكن الفرد من استعمال اللغة الاستعمال المناسب للسياق أو المقام الذي يفرضه التبليغ أو التداول، كما أنها قابلة للتعديل والتطور بتعدد التجارب الخطابية الخاصة بالفرد، وتبعا لذلك تتطور ملكة التبليغ والاتصال التي يمتلكها؛ أي قدرته على إنتاج مختلف الملفوظات التي يعتمد عليها في بناء خطابه

[1]- باتريك شارودو ودومينيك منغنو (إشراف)، معجم تحليل الخطاب، ص44.

[2]- نفسه، ص45.

[3]- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص22-23.